بعد أن وقف المشروع على قدميه. والعامل الآخر والأهم هو توفر الحياة الديمقراطية لتجمع المهاجرين والمستوطنين من خلال ارساء وترسيخ تقاليد الحياة الحزبية الديمقراطية لجميع التيارات السياسية والاجتماعية المتفاعلة داخله، والحفاظ عليها بكل قوة، حيث يجد الانسان الفرد (المهاجر المستوطن فقط) نفسه حراً طليقاً في التعبير عن رأيه والانتماء لهذا التيار أو ذاك، والعمل على خلق تيار سياسي أو اجتماعي جديد إذا أراد وتمكن، الأمر الذي يجعل من الفرد ومن ثم التجمع، ليس شريكاً ومؤثراً في صناعة القرار السياسي أو التوجه الاجتماعي فقط، بل أيضاً، مسؤولاً في تحمل النتائج سلباً أو إيجاباً. واذا ما فقدت اسرائيل هذا العامل بالذات، فلا شك بأنها ستدخل طور بداية النهاية، والنهاية السريعة لوجودها.

العامل العربي: ذكرنا في بداية المقال، ان الركائز الثلاث لبقاء اسرائيل تكمن في العامل الاستعماري والعامل الصهيوني الذاتي والعامل العربي. وقد تطرقنا إلى العاملين الأولين، وأشرنا إلى دورهما في بلورة المشروع الصهيوني، وإلى أزمتهما الراهنة وتبعاتهما الخطيرة على مستقبل المشروع. ولا شك بأن السؤال الذي يتبادر للذهن، كيف يكون العامل العربي، والمفترض فيه أن يشكل النقيض للمشروع الصهيوني، قد ساهم في الماضي، ويساهم حاضراً، موضوعياً، بشكل أكثر وأوضح في الحفاظ على بقاء اسرائيل واستمرار وجودها، ويمكنها من التوسع فيما إذا تغلبت على أزمتها الداخلية؟

الواقع أنه بقدر ما ساهمت الحركة الصهيونية في إنشاء ذاتها، وبقدر ما ساعدها الاستعمار الأوروبي ومن ثم الاميركي في بلورة مشروعها، ساعد الواقع العربي في اشتداد ساعدها. وان إثبات ذلك علمياً ليس عسيراً، وهو يتطلب دراسة أوضاع العالم العربي سياسياً واجتماعياً، ابتداء من مطلع هذا القرن وحتى الآن، من خلال الوقوف على القوى الاجتماعية التي سيرت أموره وعلاقاتها مع القوى الاستعمارية التي كانت لها مصلحة في إقامة المشروع الصهيوني.

لسنا هنا بصدد دراسة أوضاع العالم العربي، لا سابقاً ولا حاضراً، وانما الوقوف على مسألة أساسية ذات علاقة أصيلة بالموضوع، تكمن في السؤال التالي: لماذا لم تتمكن الشعوب العربية، بصفتها النقيض للمشروع الصهيوني والمتأذي منه، من التصدي للمشروع ووأده في مهده؟ ولماذا تقف اليوم بعواطفها فقط ضده، دون أن تحرك ساكناً خارج اطار العاطفة؟

من الطبيعي أن تكون هناك اجتهادات عدة للإجابة على هذين السؤالين. ومع ذلك فإن القاسم المشترك، الذي يجمع بين هذه الاجتهادات هو «تغييب» دور الجماهير في التصدي. ومن المعروف ان العالم العربي مر، خلال ولادة الحركة الصهيونية وتطورها بفترتين، فترة الهيمنة الاستعمارية المباشرة، أو غير المباشرة، على مختلف المناطق العربية، سواء على شكل احتلال أو انتداب أو بسط نفوذ قوى؛ وفترة الاستقلال الوطني التي نعيشها الآن.

وخلال الفترة الأولى، كان من الطبيعي، بفعل الحكم الاستعماري، وبحكم تواجده